

إحياء علوم الدين

المرائى هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعرابا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفاً بذلك الوقار فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون باطنه مثل ظاهرة أو خيرا من ظاهره .

ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن .

إذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص وإن كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق .

ولذلك قال رسول الله ﷺ اللهم أجعل سريرتي خيرا من علانيتي وأجعل علانيتي سالحة // حديث اللهم أجعل سريرتي خيرا من علانيتي الحديث تقدم ولم أجده // وقال يزيد بن الحارث إذا استوت سريرته العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا .

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا .

فإن خالف الإعلان سرا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا .

فما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضالمننا .

وقال عطية بن عبد الغافر إذا وافقت سريرته المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا .

وقال معاوية بن قرة من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار .

وقال عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمال الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له .

ولم أر أحدا قط أشبه سريرته بعلانية منه .

وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكى .

وقال أبو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر والعلانية .

فإذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق .

الصدق السادس وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور .

فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان صدق القتال .

ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة .

وقال أباي تعالى إنما المؤمنون الذين آمنوا بأبي ورسوله ثم لم يرتابوا إلى قوله أولئك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من آمن بأبي واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا وسئل أبو زر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقل له سألتك عن الإيمان فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقرأ هذه الآية // حديث أبي زر سألته عن الإيمان فقرأ قوله تعالى ولكن البر من آمن بأبي واليوم الآخر إلى قوله أولئك الذين صدقوا رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجد له اسنادا .

ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يؤمن بأبي واليوم الآخر إلا وهو خائف من أباي خوفا ينطلق عليه الاسم